

المسيحية لبعض الوقت، لكي يكون الضد الملائم للشاعر الأوروبي المسيحي بيتس، ولكي يتكرر الامتزاج الثقافي الذي شهده ليو وعاشه إبان عصر النهضة الأوروبي: «لقد كنت المضاد بالنسبة لي»، يقول بيتس في إحدى رسائله «وبالارتباط بيننا يجب أن نصير أكثر اكتمالاً» (ليو الأفريقي، ٢١). أما الشاعرية فتأتي ضمن استحضار بيتس للبيئة الثقافية المزدهرة التي عاش فيها ليو في مدينة فاس بعد رحيله عن غرناطة في الفترة التي تلت انتهاء الحكم العربي من تلك المدينة: «...أتخيلك في هذه اللحظة طالباً في هذه الكلية، حيث كانت هناك ثلاثة أروقة للمشاة.. وقد دعمت بثمانية أعمدة متعددة الألوان صنعت بأكثر الأشكال غرابة وزخرفة...» (ليو الأفريقي، ٢٢)

في هذه الصورة تقترب فاس كثيراً من بيزنطة، كما يرسمها الشاعر الأيرلندي في قصيدته «الإبحار إلى بيزنطة»، فكلتا المدينتين تحفلان بالعلم وبأنماط المختلفة عن أنماط الفنون الغربية. والزخرفة عنصر مهم هنا، لأنها تميز الفنون الشرقية، ومن ضمنها الفنون الإسلامية التي ازدهرت في الأندلس، عن الفنون الغربية ذات الطابع المحاكاتي، أو التي تحاكي الطبيعة. وتتبع الأهمية هنا من أن هذا التوجه الفني مؤثر على التباين، بل التضاد الثقافي بين الشرق والغرب، كما اختصره الكاتب الأيرلندي الآخر أوسكار وايلد في محاورة عنوانها «اندثار الكذب» قرأها على بيتس عام ١٨٨٩م:

«...إن تاريخ هذه الفنون (الزخرفية) بأكمله سجل للصراع بين الاستشراق من ناحية، برفضه الصريح للمحاكاة، وحبه للتقاليد الفنية وكراهيته للتمثيل الفعلي لأي شيء في الطبيعة، وروح المحاكاة لدينا، من ناحية أخرى، وحيثما انتصرت الأولى كما في بيزنطة، وصقلية، وأسبانيا بالاتصال المباشر، أو في بقية أوروبا بتأثير الصليبيين كانت لدينا أعمال خيالية وجميلة.. ولكن حيثما عدنا إلى الحياة والطبيعة، فإن عملنا يصير سوقياً، وغير ممتع...»<sup>(٦)</sup>.

<sup>(٦)</sup> *The Works of Oscar Wilde* (New York: Black's Readers Service Co., 1927) PP. 606-607

فيما يتعلق باستماع بيتس لمحاورة وايلد أنها:

*The Autobiography of William Butler Yeats* (New York: Macmillan 1965) P. 90

حيث يقول بيتس: «بعد انتهاء العشاء قرأ لي وايلد، من النسخ المطبوعة لـ «اندثار الكذب...»